

البداية والنهاية

بسيفه فقاتل حتى مات وذلك بعد خذلان أصحابه فذلك مصعب بن الزبير C وليس هو كمن قطع الجسور مرة ههنا ومرة ههنا فهذا هو الرجل هذا هو الزهد قالوا وكان مقتله يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة ثنتين وسبعين .

وقال الزبير بن بكار حدثني فليح بن إسماعيل وجعفر بن أبي بشير عن أبيه قال لما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك قال ... لقد أردى الفوارس يوم عيس ... غلام غير مناع المتاع ... ولا فرح بخير أن أتاه ... ولا هلع من الحدثان لاع ... ولا رقابة والخيل تعدو ... ولا خال كانبوب اليراع

فقال الرجل الذي جاء برأسه وإني يا أمير المؤمنين لو رأيتك والرمح في يده تارة والسيف تارة يفرى بهذا ويطعن بهذا لرأيت رجلا يملأ القلب والعين شجاعة لكنه لما تفرقت عنه رجاله وكثر من قصده وبقي وحده ما زال ينشد ... وإني على المكره عند حضوره ... أكذب نفسي والجفون فلم تغض ... وما ذاك من ذل ولكن حفيظة ... أذب بها عند المكارم عن عرضي ... وإني لأهل الشر بالشر مرصد ... وإني لذي سلم أذل من الأرض

فقال عبد الملك كان وإني كما وصف به نفسه وصدق ولقد كان أحب الناس إلى وأشدهم لي ألفه ومودة ولكن الملك عقيم وروى يعقوب بن سفيان عن سليمان بن حرب عن غسان بن مضر عن سعيد بن يزيد أن عبد الملك بن زياد بن طبيان قتل مصعبا عند دير الجائليق على شاطيء نهر يقال له دجيل من أرض مسكن واحتز رأسه فذهب به إلى عبد الملك فسجد شكرا وإني وكان ابن طبيان فاتكا رديئا وكان يقول ليتني قتلت عبد الملك حين سجد يومئذ فأكون قد قتلت ملكي العرب قال يعقوب وكان ذلك سنة ثنتين وسبعين فإني أعلم وحكى الزبير بن بكار في عمره يوم قتل ثلاثة أقوال أحدها خمس وثلاثون سنة والثاني أربعون سنة والثالث خمس وأربعون سنة فإني أعلم . وروى الخطيب البغدادي أن أمراة سكيئة بنت الحسين كانت معه في هذه الواقعة فلما قتل طلبته في القتلى حتى عرفته بشامة في خده فقالت نعم بعلى المرأة المسلمة كنت أدركك وإني ما قال عنتر ... وخليل غانية تركت مجندلا ... بالقاع لم يعهد ولم يتثلم ... فهتكت بالرمح الطويل إهابة ... ليس الكريم على القنا بمحرم

قال الزبير وقال عبد الملك بن قيس الرقيات يرثي مصعب بن الزبير C تعالى